المحاضرة السابعة د. محمد صكر هاشم

بعض الأوجه الحضارية في حضارة وادي النيل

١-الدولة والمجتمع

ان تكوين الدولة المصرية تم بقيام الملكية فيها ولا نعرف بالضبط التاريخ التي قامت به الملكية في بلاد وادي النيل الا اننا نستطيع ان نبين عهده المولع بالقدم من خلال الألقاب والرموز التي كان يحملها الملك منذ اقدم الازمان ثم من الألبسة والمظهر ، وكانت هذه الألقاب تتغير وتزداد بتقدم الزمن في عهد الدولة المتوسطة كان للملك خمسة القاب يلقب بها منها باسم الاله (هورس) وهو الاله الرئيسي للمدن عند تكامل توحيدها في ازمان ما قبل التاريخ ، واللقب الثاني (السيدتان) وهما الاشارتان الهيروغليفيتان اللتان تظهران اسم الملك مصورتين برسم الاله العقرب والالهة الثعبان وهاتان الالهتان تشيران الى العهد الذي انقسمت فيه الدولة المصرية بعد وحدتها وذلك في الفترة الواقعة بين زمن التوحيد وفي عصر ما قبل التاريخ والدور الذي تم فيه التوحيد النهائي فقد كانت كل واحدة منهما الة رسمية لاحدى الدولتين ، ثم اللقب الثالث (هورس من ذهب) يظهر لأول مرة في عهد السلالة الرابعة ، ثم اللقب الرابع (ملك مصر العليا والسفلى) ويشير الى الوحدة بين جزئي البلاد اللذين انفصلا عن بعضهما ، ثم اللقب الخامس (ابن الاله الشمس رع) ويشير الى التطور الذي طرأ في أواخر السلالة الرابعة .

اما من ناحية المظهر واللباس فان ذيل الحيوان (سوط)الذي يحملة الملك يشير الى الزمن التي كانت تسوده الحروب وهو الفترة المتاخرة لعصر ما قبل التاريخ ولاسيما في ليبيا البلد المجاور لبلاد وادي النيل .

كما نجد ذلك واضحا في بداية قائمة الملوك المكتوبة على جدران معبد سبتوس الأول في مدينة ابيدوس حوالي ١٣٠٠ ق.م حيث يظهر الملك سبتوس يحمل بيده اليسرى سوطا بهيأة ذيل حيوان وامامة ولده وولي عهده رعمسيس يحمل بيديه لفيفتين من البردي وتتدلى من شعره ضفيرتان رمزا لولاية العهد كذلك من مظهر الملك الثعبان (اوراس) القائم معقوفا فوق جبهة الملك وهو تاثير ليبي ثم اللباس القصير المعروف بال (خيتون) وما يتوسطه من نوع خاص من أنواع الخياطة ليميزه عن الاله العادية الأخرى كالحزام المتدلي .

وتشير الحية الى ازمان ما قبل التاريخ ، ثم ان هناك ظواهر خاصة تميز مصر العليا عن مصر السفلى وتظهر بوضوح في التيجان ، فملك مصر العليا يلبس تاج ابيضا يشبه (العرقجين) مدور الشكل اما ملك مصر

السفلى فيلبس تاج مخروطي الشكل له نهاية معقوفة بشكل حلزوني وقد لبس الملك كلا التاجين اثر توحيد القسمين وحكمه لهما كدولة واحدة ولكل من هذه الألقاب معاني دينية ذات علاقة كبيرة بسلطة الملك ومكانته في المجتمع المصري القديم فاللقب الأول والثالث تنعت بالاله (هورس) وهذا يعني ان الملك المقيم في الأرض وكذلك معناه ان الملك هو ابن الاله الشمس رع .

فالملكية باعتقاد المصريين ولدت مع وجود الاله ونشأة معها وقل وجودهم على الأرض ولكن ان الحقائق التاريخية تثبت ان الملكية فصل من فصول التاريخ لها زمن معين بداية ونهاية ولا غرو ان المعلومات عن نشأة الملكية وبدايتها معدومة وقليلة ولا سيما في العصور التي كانت فيها ملكيات كثيرة وصغيرة في بلاد وادي النيل ولم تتضح الملكية في بلاد وادي النيل الا في زمن السلالتين الأولى والثانية عندما تمت وحدة بلاد الوادي ، المصادر لهذا الدور يمكن استخلاصها من الصور المنقوشة على جدران المعابد والقبور في ابيدوس التي تصور الحفلات والمراسيم التي يتراسها الملك بنفسه كالاعياد الحكومية التي انقلبت فيما بعد الى أعياد تعرف باعياد الملك مثل أعياد الاحتفالات بتوحيد مصر العليا ومصر السفلى والسير والطواف حول سور المعبد وعيد الثلاثين سنة ثم الأعياد الدينية كالعيد الذي يحتفل فيه بتقديس الاله (هورس) وخروج العجل (ابيس) من معبده وسيره بمهرجان كبير بين جموع الناس وعيد الاله وسكر ثم عيد الفلاحين وهو عيد حرث الأرض .

الى جانب وجود المباني والمعابد والمرافق العامة بحدود عصر السلالة الرابعة والتي تدل على تطور الملكية ، وقد صادفت الملكية في نهاية السلالة الرابعة لسلطتها من طبقتي الاشراف والكهنة اللتان اخذت شوكتهما تزداد في البلاد فاصبحت الوظائف الكبيرة المهمة وراثية واخذت طبقة النبلاء تستحوذ على مساحات كبيرة من الأرض والاقطاعات فزاد نفوذها وقل ارتباطها بسلطة الملك وال الامر الى ن يناؤوا الملك والسلطة في البلاد ولم يكترثوا بان يدفنو في العاصمة قرب المكان المخصص لدفن الملك وانما دفنوا في مدنهم التي يعيشون فيها .

وكثيرا ما تتسع ممتلكات امراء المقاطعات فتقوى شوكتهم ويشمل سلطانهم مناطق أوسع وتضاف الى مقاطعته الصغيرة فيصبح شخصية مهمة في تاريخ البلاد وذلك منذ قيام هؤلاء الامراء بمساعدة امير ما بينهم او شخص ما من العائلة المالكة لبسط نفوذه على بلاد وادي النيل وتوحيدها تحت عرش واحد فاذا ما تم ما أراد اخذ يكافئ هؤلاء الامراء الاقطاعيين الذين ساندوه بمنحهم مقاطعات جديدة من تلك التي سلبها من الأعداء فمن

ذلك ما حدث لامراء مقاطعة طيبة اذين اسسو الدولة المتوسطة فقد وعدو عددا من الامراء الذين تحالفوا معهم لمحاربة امراء مدينة هيركليوبولس ومقاطعات جديدة وفو بعهدهم وكذلك فعل مؤسسوا السلالة الثانية عشر عندما توقفو في تقويض السلالة الملكية الحادية عشر .

وتشير التماثيل العديدة لامراء هذا الدور ومقابرهم وابنيتهم ومعابدهم الى ان اعظم فترة ازدهار لقيتها هذه الامارات في تاريخ وادي النيل كانت زمن السلالة الثانية عشر كذلك تقوى سلطانهم لدرجة انهم اصبحو خطر يهدد لكيان هذه السلالة التي بكانت تسعى الى تأسيس ملكية مستقلة في جميع البلاد ، وكان لابد من القضاء عليهم او الحد من سلطانهم فخلفت فخلفت طبقه ثالثة في المجتمع وهي الطبقة العامة او طبقة المواطنين بما فيها طبقة أصحاب الملكية الصغيرة والدخل المحدود واخذت تعمل على تقويتها في عواصم المقاطعات والمدن بحيث أصبحت هذه الطبقة قوية لدرجة انها حدث من سلطان المقاطعات وطبقة النبلاء والاشراف التي صارت مع الزمن تحت رحمتها وتتملق رضاها كما يتبين بوضوح من الكتابات المنقوشة على قبور هؤلاء الامراء وبذلك استطاعت الملكية في بلاد وادي النيل مكافحة هذه الطبقة واخضاعها عن طريق الطبقة العامة التي خلفتها وقوتها وتمكنت من بواسطتها من تأسيس دولة وطنية حققت وحدة بلاد وادي النيل تحت ظل ملكية مستقلة في نهاية السلالة الثانية عشر أدت وادت الى مجيئ السلالة الثالثة عشر .

وقد وصلتنا المعلومات الكثيره من خلال لفائف أوراق البردي التي صورت لنا البؤس والفقر والغلاء الفاحش التي كانت تئن تحتها طبقة الدهماء الى جانب ذلك فقد قلت الارزاق وساء الوضع الاقتصادي بسبب هجوم القبائل الغربية وغاراتها المستمرة ونهبها الامتعة والحاصلات واحتكار الكهنة للاموال والاطعمة التي كانت ترد المعابد فارتفعت أسعار الحبوب وعمت المجاعة في البلاد وذلك في عهد السلالة العشرين فتوقفت عمليات دفع أجور العمال التي كانت من مواد اطعمة كالسمك والبقول والحبوب والبيرة والخشب والوقود فهاج العمال وماجوا واعلنوا الاضراب الموظفون الذين كانوا السبب في الفوضى وبما كانوا يتصفون به من التفشي والتفسخ بينهم الى دفع أجور هؤلاء العمال ، ثم تستطرد لفائف البردي في وصف اخلاق هذه الطبقة فتقول انها منحطة خلقيا وتقوم باعمال السرقة والاغتصاب وقطع الطريق وتاتي الفاحشة والمنكر .

المصدر : موجز تاريخ العراق القديم
الجزء الثاني
القسم الثاني : تاريخ مصر وبلاد الشام
للمؤلف د. عامر سليمان